

تمثيلية الإستفتاء

2016-03-10 بروجيك سنيكيت

إيان بوروما

نيويورك - تستعر حاليا الإستفتاءات في أوروبا ففي يونيو سوف يقرر الناخبون البريطانيون ما إذا كانت المملكة المتحدة ستبقى في الإتحاد الأوروبي كما دعت الحكومة الهنغارية لإستفتاء فيما يتعلق بقبول حصتها من اللاجئين والتي تم تحديدها من قبل الإتحاد الأوروبي. لقد ذكر رئيس الوزراء الهنغاري فكتور أوربان أن هنغاريا سوف تقاوم السماح لهم بالدخول وأضاف إيان "جميع الإرهابيين هم بالأساس مهاجرون" ومن المرجح أن يفوز بهذا الإستفتاء.

ربما الإستفتاء الأغر ب هو الإستفتاء الذي سوف يجري في هولندا في أبريل وذلك بعد حملة ناجحة لتقديم عريضة. إن السؤال المطروح على المواطنين الهولنديين هو ما إذا كانت هولندا سوف توقع على إتفاقية الشراكة بين الإتحاد الأوروبي وأوكرانيا. إن جميع الدول الأعضاء الأخرى في الإتحاد الأوروبي قد وافقت بالفعل على هذه الإتفاقية ولكن بدون الهولنديين لن تكون هناك إمكانية للمصادقة على تلك الإتفاقية.

قد يتصور المرء إيان تفاصيل الإتفاقيات التجارية والحوافز الجمركية ستربك معظم الناخبين الهولنديين وقد يتساءل المرء كذلك لماذا يهتمون لدرجة إجراء إستفتاء ولكن الإستفتاءات تناسب المزاج الشعبي الذي يكتسح العديد من البلدان وذلك من أمريكا دونالد ترامب إلى هنغاريا اوربان.

إن الإستفتاءات هي مثال على ما يعرف بالديمقراطية المباشرة أي أن أصوات الجماهير لاتسمع من خلال ممثلهم المنتخبين في الحكومة ولكن مباشرة من خلال الإستفتاء الشعبي. عندما إقترح

ونستون تشرشل سنة 1945 أنه يتوجب على البريطانيين التصويت في إستفتاء على الإستمرار في الحكومة الإئتلافية والتي تم تشكيلها أبان الحرب، عارض زعيم حزب العمال كليمنت آتلي الإقتراح ووصف الإستفتاءات بإنها لا تعكس التقاليد البريطانية وإنها "أداة للمستبدين والديماغوجيين".

لقد كان آتلي محقا فعلى الرغم من أنه يتم إجراء الإستفتاءات أحيانا في الديمقراطيات التمثيلية مثل عندما إختار الناخبون البريطانيون البقاء في السوق الأوروبية المشتركة سنة 1975 فإن الحكام المستبدين هم عادة الأكثر حرصا على إجراء مثل تلك الإستفتاءات فبعد أن قام هتلر بغزو النمسا سنة 1938 طلب من النمساويين من خلال إستفتاء أن يقرروا ما إذا كانوا يريدون أن تقوم ألمانيا بضم بلادهم ولقد كان هذا خيارا لا يستطيعون رفضه فعليا. إن الحكام المستبدين عادة ما يرغبون في أن يتم دعمهم من خلال إستفتاءات لإنهم لا يدعون أنهم يمثلون الشعب فحسب بل هم الشعب.

إن موضة الإستفتاءات هذه الأيام تعكس إنعدام الثقة في الممثلين السياسيين ففي الديمقراطيات الليبرالية صوت عادة للرجال والنساء حيث نتوقع منهم أن يدرسوا ويقرروا فيما يتعلق بالقضايا التي ليس لدى معظم الناس الوقت أو المعرفة للتعامل معها بأنفسهم.

لا يطلب عادة من الناخبين إن يهتموا بموضوع الإتفاقيات التجارية بشكل مباشر. إن الإستفتاء هو ليس عادة طريقة دقيقة لمعرفة القدرات العقلانية للناس أو لإختبار خبراتهم. إن الإستفتاءات هي عادة ما تتعلق بالمشاعر التلقائية التي يمكن التلاعب بها بسهولة من قبل الديماغوجيين ولهذا السبب يحب الديماغوجيون الإستفتاءات.

لغاية الآن فإن الجدل في بريطانيا فيما يتعلق بخروج بريطانيا من الإتحاد الأوروبي هو جدل عاطفي إلى حد كبير حيث يركز على العظمة التاريخية لبريطانيا وأهوال الحكومات الإستبدادية الأجنبية أو على العكس من ذلك يثير المخاوف بما قد يحصل لو تم التخلي عن الوضع القائم. إن أعداد قليلة من الناخبين البريطانيين لديهم معرفة بكيفية عمل المفوضية الأوروبية أو دور المجلس الأوروبي ولكن معظم الناخبين لديهم بعض المشاعر عن كيف وقفت بريطانيا لوحدها ضد هتلر أو إمكانية أن تغرق البلاد بسيل من المهاجرين.

عآة في الإسآفآاء فءءء الناس موقفهم لأسباب لا آآعلق كآفرا بالسؤال الءف فطرآ علفهم فبعض الناس فف برفطانفا فمكن أن فآآاروا الآرورآ من الإآآاء الأورورف ففقط لأنهم لا فآبون رؤفس الوزراء ءفففء كامفرون الءف فسائء البقاء فف الإآآاء الأورورف. لقف صوآ النآآبون فف هولنءا وفرنسا ضء ءسآور الإآآاء الأورورف المقآرآ سنة 2005 وربما أعااء قلفة آءا آمكنآ من قراءة ءسآور وفف واقع الأمر كان ءلك ءسآور عبارة عن وثفقة فر قابلة للقراءة علما إن الآصوف آلا؁ كان نابعا من عءم الرضا العام عن النآآ السفسافة المرآبطة ببروكسل.

لقف كان ءلك مفهومفا إلى آء ما ومبررا فمفاوضاء الإآآاء الأورورف معقدة وغماضة بالنسبة لمعظم الناس ومؤسسات الإآآاء الأورورف بعبءة عن الناس وعلفه لم فكن من المفآآء أن فشعر العءفء من المواآنفن بانهم قء فقءوا السفطرة على شؤونهم السفسافة فالآكوماء الوطنفة ءفمقراطفة آءو أكثر عآزا بشكل مآزاف والإآآاء الأورورف ففلس بءفمقراطفة. إن الرغبة بالأسآفآاءات ففلس فقط إشارة على الآلافاء الوطنفة ءءآلفة ولكنه عارض آخر على المطالباء السعبوفة العالمفة "بالسآعاءة بلاءنا".

قف فكون ءلك فف معظمه من ضروب الوهم (سوف آقل قءرة برفطانفا على الآآكم بمصفرها آارآ الإآآاء الأورورف مقارنة لو أنها بقفآ ضمن ءلك الإآآاء) ولكن هناآ آاآة للآعامل بشكل آءف مع أزمة الآقة. عآة ما آكون الاسآفآاءات من الإعمال العبآفة ولكن نآآآآها ففلس آءلك فالءف آصل بأوركرا نفا مهم وآرورآ برفطانفا من الإآآاء الأورورف قء فكون له نآآآ مءمرة ففلس فقط على برفطانفا ولكن على بقفة أوروبا كءلك. إن نآآ المآال الهنآارف فف رفض الآعاون من أجل آل أزمة اللاآفن فمكن أن فسآفز بلادان أخرى على أن آآءو آءوها.

المشكلة الأساسية هف أن أعااءا كبرفة من الناس فشعرون بانهم فر ممآلفن فالسفسافة الآزبفة القءفمة الآف آآآكم بها النآآ القءفمة والآف آسآآم شبكاء النفوآ الآقلفءفة لم آعء آعطف المواآنفن السعور بالمآرآة فف ءفمقراطفة. إن النفوآ الإسآآنائف لمآموعة صغيرة من أصحاب المفلاراء فف الولافاء المآآءة الأمريكية وإنعءام الشفاففة فف سفسافة الإآآاء الأورورف نفاقم من هءه المشكلة.

إن الديمقراطية المباشرة لن تعيد ثقة الناس بممثلهم السياسيين ولكن لو لم يتم إستعادة درجة أكبر من الثقة فإن السلطة ستذهب لقادة يدعون أنهم يمثلون صوت الجماهير وعادة هذه إشارة لا تبشر بالخير.

* أستاذ الديمقراطية وحقوق الإنسان، والصحافة بكلية بارد

.....

* الآراء الواردة لا تعبر بالضرورة عن رأي شبكة النبا المعلوماتية